نحو قراءة جديدة للتاريخ

٥

الحج

موسم عبادي و ملتقى سياسي

تأليف:

الفقيه المحقق جعفر السبحاني

بسم الله الرحمن الرحیم

الحج موسم عبادی و ملتقی سیاسی

کاتب:

جعفر سبحانی

نشرت فی الطباعة:

وزاره الثقافه و الارشاد الاسلامی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الحج موسم عبادی و ملتقی سیاسی

اشاره

لحج موسم عبادی و ملتقی سیاسی

جلد:۱مقرر:سبحانی تبریزی، جعفر

ناشر:نشر مشعر

محل نشر:تهران

سال نشر:-

ص:۱

قراءه التاریخ من جدید

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

التاريخ صحيفه كبيره مفتوحه أمام صحيفه المستقبل المطويّه، ولكن بإمكان الباحث المتتبع أن يفتح القسم المطوىّ انطلاقاً من القسم المفتوح، فيحدِّد معالَم مسيره المستقبل على ضوء الماضى، كى يعتبر بها و يتَّخذها نبراساً مضيئاً للحياه.

غير انّ هذه المسيره ليست معبَّده، بل لا تخلو من موانع وعراقيل تحول بين الباحث والوصول إلى الحقيقه، وما ذلك إلّا لانّ التاريخ لم يدوَّن بقلم نزيه عن الدسّ والوضع، بعيداً عن الأعراض والمصالح الشخصيه والفئويه، وبعيداً عن التزلُّف إلى أصحاب السلطه والشوكه.

وآيه ذلك انّ الإمام محمد بن جرير الطبرى (٢٢٨- ٣١٠) أحد كبار المؤرخين فى القرن الثالث قد اعتمد فى سرد وقائع تاريخ الخلفاء على روايات يرويها عن:

١. السرىّ.

٢. شعيب بن إبراهيم الأسدى الكوفى.

٣. سيف بن عمر التميمى الكوفى.

فالأول منهم مشترك بين اثنين عرفا بالكذب والوضع.

والثانى مجهول لايعرف حاله.

ص:٢

والثالث عرّفه أئمه الجرح والتعديل بانّه ضعيف، متروك، ساقط، وضاع، متّهم بالزندقه. فما شأن تاريخ يرويه وضاع، عن مجهول، عن متّهم بالزندقه و يا للأسف فقد نقل شيخ التاريخ، الطبرى عنهم سبع مائه روايه، و روايه واحده، استغرقت بيان حوادث ۱۱– ۳۷ من الهجره فحسبها المتأخرون حقائف فاستندوا إليها فى كتبهم و رسائلهم دون تمحيص أو تدقيق.

والتاريخ يعجّ بهذه الموضوعات والمكذوبات على لسان وصلحاء الأمّه، يقف عليها منه سبر التاريخ بتجرّد وموضوعيّه، فكم من صالح بخس التاريخ حقَّه، واتّهمه بالزيغ والضلال، وكم من طالح سفک دماء الأبرياء والأتقياء ألبسه التايخ ثوبَ الزهد والتقى.

من هنا تتأكّد المسؤوليه فى إعاده قراءه التاريخ على ضوء القواعد العلميه المتفق عليها، بعيداً عن النزوع إلى العواطف والأهواء والآراء المسبقه، بغيه فرز الحقائق عن الأوهام، وهذا ما نعبِّر عنه بقراءه التاريخ من جديد، وهذا ما نقترحه، آملين أن يقيض اللّه رجالًا أحراراً لايبتغون غير الحقيقه هدفاً.

وأخيراً، ولأجل أن تقترن الدعوه بالعمل نقدم إلى القراء الكرام سلسله من البحوث التاريخيه لتكون نموذجاً لما دعونا إليه، وليس ما قمنا به إلّا خطوه متواضعه فى هذا السبيل.

واللّه هو الهادى

جعفر السبحانى

مؤسسه الإمام الصادق (عليه السّلام)

الحج والصحوه الإسلاميه الراهنه

الحمد للَّه الذى فرض الحجّ على عباده، إظهاراً لجلاله وكبريائه، وعلوّ شأنه، وعظم سلطانه، وجَعَلَ بيته للعائذين حرماً، وللعاكفين قبله، وللإسلام علماً، ونسبه إلى نفسه تشريفاً، فقال: «وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَ أَمْنًا .... وَ عَهِدْنَآ إِلَى إِبْرَ هِيمَ وَ إِسْمعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَ الْعكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ».

إنّ الحجّ من أعظم شعائر الإسلام وأفضل ما يتقرّب به المسلمُ إلى اللَّه سبحانه، وفيه الوفاده إليه من كلّ ما اقترف

العبـد من ذنوب، مسـتأنفاً لمـا يسـتقبل، مع ما فيه من صـرف الأموال وتعب الأبـدان والخروج عن الأهل والولـد، وترک اللـذات والشهوات وتحمل مقاساه الأهوال، شاخصاً فی الحرد والبرد، ثابتاً علی ذلک مع الخضوع والاستکانه والتذلل.

وقـد وصف سـبحانه تارک الحـجّ ومسوِّفه بالکفر لأنّه قد أصـبح بإیثاره للأُمور الدنیویه علی الفریضه الإلهیه، ممن یجحد النعمه ولایشکرها، وهذا بمثابه الکفر بمغدِقها سبحانه.

وهـذا إن دلّ علی شـی ء فإنّما یـدلّ علی انّ الحـجّ من الأهمیه فی الإسـلام لیس لغیره من الفرائض إلی حدّ یقول الإمام الصادق (علیه السّلام): «ما زال الدین قائماً ما قامت الکعبه».(۱) وفی حدیث آخر عنه «انّ الناس لو ترکوا حجّ هذا

۱- الوسائل: ۸، الباب ۴ من أبواب وجوب الحجّ والعمره، الحدیث ۵.

البیت لنزل بهم العـذاب ومانوظروا».(۱) إنّ للحـجّ أسـراراً لا ـ یسع البـاحث إحصاءها، ولا الاحاطه بها، و قـد أشار المحقّقون من علمائنـا إلی جوانب من أسـراره، والـذی یهمنـا فی مقام هو أنّ الحـجّ أصـبح فی عصـرنا الحاضـر أشـبه بعباده فردیه لیس لها من المعطیات الاجتماعیه إلّا شـیئاً یسـیراً لایُـذکر. فأکثر الناس یقتصـر همّهم علی إنجاز الفرائض علی أتم وجه دون أن یُعیروا أهمیه لأبعاده الاجتماعیه والسیاسه التی ظلت طی الخفاء طوال سنین عدیده.

انّ الصـحوه الإسـلامیه التی عمت أرجـاءً واسـعه من العـالم تـدفع بـأئمّه المسـلمین إلی التفکیر ملیّاً فی أبعـاد الحـجّ الاجتمـاعیه والسیاسیه بغیه توظیفها لصالح قضایا الإسلام المصریه.

وانطلاقاً من ذلک فقد وضعنا هذه الرساله وکرّسنا

۱- الوسائل: ۸، الباب ۴ من أبواب وجوب الحجّ والعمره، الحدیث ۸.

البحث فيها على أبعاد الحجّ الاجتماعيه والسياسيه فى الذكر الحكيم أوّلًا والسنّه الشريفه ثانياً وكلمات العلماء ثالثاً عسى أن يبعث اللّه رجالًا أحراراً ذوى أفئذه وعقول نيّره يجبرون ما فات من خلال عقد مؤتمرات يتدارسون خلالها الأوضاع المُزريه للمسلمين، ووضع أفضل السبل والحلول وعلاجها، بإذن منه

سبحانه المؤلف الحج موسم عبادى و ملتقى سياسى،

۱- الحج ووحده المسلمين وايقاظهم

جعل اللَّه الكعبه البيت الحرام قياماً للناس وجعل الحجّ موسماً للعباده، وفرصه لالتقاء المسلمين الوافدين من كلّ صقع وصوب ليتعارفوا، وليتعرّفوا على معالم دينهم ويطّلعوا على أحوالهم، فهذا هو- بعد العباده- من أظهر مصاديق قوله تعالى: (وَلْيَشْهَدُوا مَنافع لَهُم)، وأيّ منفعه- بعد العباده- أكبر من أن يلتقى الإخوه فى اللَّه فى نقطه واحده بعيداً عن جميع الاعتبارات الشخصيه والاجتماعيه والحواجز القوميه، والإقليميه والعرقيه يُخيِّم عليهم ظلال الدين، وتَغمرهم مشاعر المحبّه والمودّه، وتجمعهم روح

الاخوّه الصادقه الصافيه؟

وأىّ مسأله أهمّ من أن يتعرّف المسلمون على الأخطار والمشاكل المحدِقه بهم، ويتدارسوا حلولها المناسبه ويعملوا معاً و بيد واحده، وعزيمه متضافره لإزالتها، أو يخفّضوا من وطأتها وثقلها عن كواهلهم.

وأىّ مشكله هى أكثر ضغطاً على المسلمين اليوم من مشكله الاستكبار المتشكّل بأشكال مختلفه الّذى يحتلّ بلاد المسلمين عسكرياً، أو يسيطر عليها سياسياً، أو يغزوها ثقافياً، وينهب ثروات المسلمين، ويثير الفتن بينهم، ويقتل أبناءهم، ويُفسد شبابهم، و ....

أليس «الحجّ» خير مكان لإعلان الاستياء الإسلامى العام من هذا الاستكبار الخبيث البغيض وفى طليعته أمريكا وأذنابها.

وإذا كان المسلمون المظلومون، المضطهدون فى بلادهم لا يستطيعون الإعلان عن استيائهم وغضبهم على المستعمرين فى عقر ديارهم، لوجود حكومات عميله تخنق

الأـصوات وتُكمّ الأـفواه، أفلاـ يكون الحـجّ أفضـل فرصه وأحسن مكاناً لإعلاـن هـذا الاستيـاء والغضب جنباً إلى جنب مع كافّه الإخوه المسلمين إلى جانب العباده والخضوع والتضرّع والإنابه؟

أليس رفض الطواغيت الذى يعتبر الخضوع لحكمها، والسـير فى ركابها، والركون إليها من مصاديق «الشرك فى الطاعه» من أبرز مظاهر التوحيد الّذى جعل اللّه الحجّ تجسيداً له، وتحقيقاً لحقيقته؟

ولقد أدرك المسـلمون اليوم هذه الحقيقه، ومع تنامى الحركه الإسلاميه وتصاعد الصحوه الإسلاميه أدركوا أنّ الحجّ هو المكان المنـاسب والفرصه المناسـبه لتوحيـد صـفوف المسـلمين، وإيقاظهم، وإيقافهم على حقيقه الأحـداث المأساويه الّتى يقف وراءها أعداء الإسلام: أمريكا وإسرائيل وبريطانيا و غيرهم من قوى الاستكبار والاستعمار.

لقد أدركوا أنّ الحجّ خير فرصه لإعلان الاستياء

الإسـلامی العام من الاسـتعمار البغیض جنباً إلی جنب مع العباده والإنابه امتثالًا لقوله تعالی: (لِیَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَیَذْکُرُوا اسْمَ اللَّهِ ...) الذی یشیر (١)إلی فلسفه الحجّ المزدوجه: العبادیه والسیاسیه وجانبیه الدنیویّ والأُخروی.

ولکن مع الأسف نجد بعض من یدّعی العلم، ویتصدّر مقام الدعوه إلی الإسلام یخالف بشده هذه الحرکه المبارکه وهذه الخطوه العظیمه المؤثره التی لا تهدف إلّا إنقاذ المحرومین والمظلومین، وشجب الاستعمار والاستعباد، وهو یسمع باستمرار أخبار المذابح والمجازر الّتی تودی بحیاه الکثیر من أبناء الأُمّه الإسلامیه کلّ یوم وبسبب مباشر من کید الاستعمار فی فلسطین ولبنان وأفغانستان وارتیریا، والبوسنه والهرسک وغیرها.

هذا البعض بدل أن یضمّ صوته إلی أصوات بقیّه المسلمین المستنکره لأعمال الاستعمار، الشاجبه لجرائمهم بحقّ الإسلام والمسلمین، نجده یضمّ صوته إلی أصوات

١- الحج: ٢٨.

الـدوائر الاسـتعماريه ويهرّج فى أبـواقه الإعلاـميه ضـدّ المســلمين، ويسـتنكر غضـبهم على الاسـتعمار المتمثّـل اليـوم فى أمريكا وإسرائيل وبريطانيا وفرنسا الملطّخه أيديهم بدماء المسلمين المبنيّه قصورهم على جماجم أبناء الإسلام.

وأعجب من كلّ هـذا تمسّـكه لتحريم هـذه الخطوه المباركه بقوله تعالى: (لا رَفَثَ وَلا فُسُوق وَلا جِدالَ فِى الحَجّ) الذى لا علاقه له بهذه المسأله أصلًا.

ذلكم هو الشـيخ عبـد اللَّه الخيّـاط إمـام وخطيب المسـجد الحرام الـذى اعتبر طرح مشاكـل المسـلمين السياسـيه فى موسم الحجّ خروجاً عن مفاهيم الحـجّ، واسـتدلّ لـذلك بقول اللَّه تعالى: (... فَمَنْ فَرَضَ فيهِنَّ الْحَـجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِـدالَ فِى الحَجّ ...). (١)وقال: وكما أرادها الرسول فى قوله صلَّى اللَّه عليه و آله و سلَّم:

«من حجّ ولم

١- البقره: ١٩٧.

یرفِثْ ولم یَفسق عادَ کیوم ولدَتهُ أُمّه».

أمّا دعوه إیران الخمینی التی یریـد أن یحوّل الحـجّ إلی شـعارات سیاسـیه، وإلی مظاهرات دعائیه، وإلی ممارسات فوضویه، فهی مرفوضه شـکلًا ومضـموناً لأنّهـا تتنـافی مع تعـالیم دیننـا الحنیف، وتخرج عن مفـاهیمه ومبـادئه السـمحه، ولأنّهـا تقوّض رکناً من أرکانه، ففیها انتهاک لحرمات اللَّه، واجتراء علی شعائر اللَّه، وخروج علی النهج الّذی رسمه اللَّه.

إنّ دعـوه إیران الخمینی تـثیر الفتنهوتشـتّت الشــمل وتحـوّل المحبّـه إلی أحقـاد، وتحـوّل المشـاعر المقـدّسه إلی ساحـات لرفع الشـعارات السیاسـیه، ونشـر الـدعوات المشـبوهه، فما من مسـلم علی وجه الأرض إلّا ویرفض هـذه الـدعوه ویسـتنکرها، لأنّ فیها خروجاً علی الإسلام وانتهاکاً لشعائره.

والحجّ لا یمکن أن یکون إلّاملتقیً روحیاً ومؤتمراً سنویاً یجتمع فیه المسلمون الوافدون من کلّ فجّ عمیق. (۱)

۱- مجله رابطه العالم الإسلامی، السنه الحادیه والعشرون، العدد الثانی عشر.

إنّ مـا ورد فی هـذا الخطبه من العبـارات والكلمـات هی الّتی نسـمعها من الخطباء فی كلّ عام، فهم لا یتجاوزون عن تلاوه نفس الآیه، وإتباعها بما سمعت من هذا الخطیب من الكلمات والعبارات الجوفاء.

ونحن- هنا- لا نقابل الشیخ إلّا بما أمرنا به سبحانه فی قوله:

(وَجادِلْهُمْ بِالّتی هِیَ أَحْسَن) فنشـرح معنی الآیه ونوضـحها حتّی یظهر المراد منها، ویعلم الجمیع أنّ المظاهرات السیاسـیه وإعلان البراءه من الكفّار وشـجب أعمالهم المعادیه للإسـلام والمسـلمین، ودعوه المسـلمین إلی الوحده الّتی هی روح تلک المظاهرات التی أمر بها الإمام الخمینی، لیست مصداقاً للجدال الوارد فی الآیه.

الحج موسم عبادی و ملتقی سیاسی،

۲- اعلان البراءه والجدال فی الحج

اشاره

يقول سبحانه: (الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعلُوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدالَ فِی الحَجِّ).(۱) وإليك تفسير الآيه وإيضاح مفهومها.

۱. إنّ تكرار لفظ «الحجّ» فی الآيه ثلاث مرّات مضافاً إلى أنّه من قبيل وضع الظاهر موضع المضمر، فيه لطف الإيجاز، فإنّ المراد بالحجّ الأوّل: زمان الحجّ، وبالحجّ الثانی: نفس العمل، وبالثالث:

زمان الحجّ ومكانه، ولولا الإظهار لم يكن بدّ من إطناب غير لازم.

قال صاحب تفسير المنار:

۱- البقره: ۱۹۷.

«إنّ من بلاغه الإيجاز فی الآیه التصریح فی مقام الإضمار بذکر الحجّ ثلاث مرّات، المراد بأوّلها: زمان الحجّ، وبالثانی: الحجّ نفسه المسمّی بالنسک، وبالثالث: ما یعمّ زمان أدائه ومکانه وهو أرض الحرم ومایتبعها کعرفات». ۲(۱). المراد من قوله: (فَمَنْ فَرَضَ فیهِنَّ الحَجَّ) أی ألزم نفسه بالشروع فی الحجّ بالنیّه قصداً باطناً والإحرام فعلًا ظاهراً، وبالتلبیه نطقاً مسموعاً.(۲) ۳. المشهور أنّ الرفث هو الجماع، و عن عبد اللّه بن عمر و طاووس وعطاء وغیرهم الرفث، الإفحاش للمرأه بالکلام (۳)أو مطلق الفحش(۴) وقیل غیر ذلک.

۴. وفسّر الفسوق بجمیع المعاصی کلّها، وقال ابن زید و مالک:

الفسوق الذبح للأصنام، وقال الضحّاک:

۱- تفسیر المنار: ۲/ ۲۲۸.

۲- تفسیر القرطبی: ۲/ ۴۰۶.

۳- المصدر نفسه.

۴- تفسیر الکشاف للزمخشری: ۱/ ۲۶۴.

الفسوق التنابز بالألقاب، وقال ابن عمر: الفسوق السباب، والقول الأوّل هو الأصحّ، لأنّه يتناول جميع الأقوال.

وقد روى عنه صلَّى اللَّه عليه و آله و سلَّم أنّه قال:

«من حَجّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدَتهُ أُمّه» و «الحجّ المبرور ليس له جزاءٌ إلّا الجنّه» أخرجه مسلم وغيره. (۵)

۵. والجدال فی اللغه هو المنازعه والمشاجره والمخاصمه.

يقال: جدلت الحبل فتلته، والجديل زمام البعير.

وسمّيت المخاصمه مجادله لأنّ كلّ واحد من الخصمين يروم أن يفتل صاحبه عن رأيه.

والمهمّ فی المقام هو تفسير قوله تعالى: (ولا جِدالَ فِی الحَجّ) وتعيين المقصود منه، وقد اتّخذه المخالف دليلًا على حرمه المظاهرات وإلقاء الخطب السياسيه، والمناشدات الجماعيه وإظهار البراءه من الكفّار والمنافقين.

ولا يتبيّن مقدار دلاله الآيه على ما يرتئيه هؤلاء إلّا بنقل

جمیع الاحتمالات الّتی ذکرها الکبار من المفسّرین وإلیک بیانها:

المعنی الأوّل

ما ذکره القاضی البیضاوی ومال إلیه الرازی(۱) من حمل قوله سبحانه: (لا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدالَ فِی الحَجّ) علی الخبر، ومعناه أنّ الحجّ لا یثبت مع واحده من هذه الخلال بل یفسد، لأنّه کالضدّ لها، وهی مانعه من صحّته، وعلی ذلک یجب أن یحمل الألفاظ الثلاثه علی أعمال تفسد الحجّ، وتوجب القضاء من قابل إذا کان واجباً، فیفسّر «الرفث» بالجماع، و «الفسوق» بالزنا، لأنّه مفسده، ویحمل الجدال علی خصوص الشکّ فی الحجّ ووجوبه وصحّه تشریعه وکونه عملًا موافقاً للعقل.

والحاصل: انّ الظاهر هو حصول المضادّه بین هذه الأشیاء والحجّ الّذی أمر اللّه تعالی به ابتداءً.

وعلی ذلک ... فکما لا یمکن الأخذ بمطلق «الفسوق»

۱- مفاتیح الغیب: ۲/ ۱۷۵ ونقله عن القاضی أیضاً.

إذ ليس كلّ فسوق مفسداً كالكذب والغيبه لا يمكن الأخذ بمطلق «الجدال» إذ ليس كلّ جدال مفسداً غير مجامع مع الحجّ بل جدالًا خاصّاً غير مجامع معه كالشكّ فى وجوبه وصحّه تشريعه، والقول بلغويه الطواف على الحجر والتراب والأخشاب.

وهذا المعنى الذى اختاره القاضى وجنح إليه الرازى فى تفسيره هو المختار لكثير من الفقهاء فى بعض التراكيب مثل قوله: «لا صلاه إلّا بفاتحه الكتاب» أو «لا صلاه إلّا بطهور» و المقصود نفى الصحّه بدونهما، وأنّ حقيقتهما تتقوّم بهما، كما أنّ المقصود من الآيه أيضاً نفى صحّه الحجّ مع أحد هذه الأُمور الثلاثه.

فلو صحّ ذلك الاحتمال، فلا يصحّ الاستدلال معه على ما يرتئيه هؤلاء من حرمه مطلق الجدال، ومنه المظاهرات، إذ الآيه بصدد بيان حرمه الجدال الذى لا يجتمع مع صحّه الحجّ، وليس بصدد بيان حرمه كلّ جدال وإن جامع مع صحته.

والمظاهرات على فرض كونها جدالًا (۱)حراماً ليست مفسده للحجّ بالضروره.

المعنى الثانى

التفريق بين الأُمور الثلاثه بحمل الأوّلين على النهى، وإن كان عدولًا عن ظاهر اللفظ أى: لا ترفثوا ولا تفسقوا، وحمل الثالث على الخبر، أى أنّه لا جـدال ولا خلاف فى وقت الحـجّ ومكانه، وعلى هذا فالمراد: لا جدال ولا خلاف فى وقت الحجّ ومكانه، وهذا المعنى هو الّذى أصرّ عليه ابن جرير الطبرى فى تفسيره(۲) وذكره الزمخشرى (۳)واستشهدا عليه بوجهين:

الأوّل: إنّ رسول اللَّه صـلَّى اللَّه عليه و آله و سـلَّم- قال: «مَن حـجّ للَّه ولم يرفث ولم يفسق رجع كهيئته يوم ولـدته أُمّه» ولم يقل «ولم يجادل» و فى

۱- سيوافيك انّ إعلان البراءه ليس من مصاديق الجدال.

۲- تفسير الطبرى: ۲/ ۱۶۲.

۳- تفسير الكشاف: ۱/ ۲۴۶.

هـذا دلالـه على أنّ الأوّلين بمعنى النهى عن الرفث والفسوق، دون الثالث، وإلّا كان عليه عطف الثالث عليهما بصوره النهى، بل هو بمعنى الخبر ونفى من اللَّه جلّ وعزّ عن شهور الحجّ الاختلاف فى وقته ومكانه الذى كانت الجاهليه تختلف فيها بينها.

الثانى: إنّ قريشاً كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب بعرفه، وكانوا يقدّمون الحجّ سنه ويؤخّرونه سنه وهو المعروف ب «النسى ء» فردّ إلى وقت واحد، وردّ الوقوف إلى عرفه، فأخبر اللَّه تعالى أنّه قد ارتفع الخلاف فى الحجّ، وقد أخبر اللَّه عن النسى ء و قال: (إنّما النسئ زياده فى الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً). (۱)نعم رجع الحجّ إلى زمانه ومكانه فى حجّه الوداع قال صلّى اللَّه عليه و آله و سلّم: «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات و الأرض» وقال القرطبى: يعنى رجع أمر الحجّ كما كان، أى عاد

۱- التوبه: ۳۷.

إلى يومه ووقته، وقالصلّى اللّه عليه و آله و سلّم لمّا حجّ: «خذوا عنّى مناسككُم» فبيّن بهذا مواقف الحجّ ومواضعه. (۱)فلو قلنا بهذا الوجه لما كان لقوله تعالى صله بما يرتئيه الخطيب الخيّاط، إذ ليس هو بمعنى النهى حتّى يكون تكليفاً إلزامياً شاملًا لمطلق الجدال، بل هو كلام خبرى، والخبر حقيقه تكوينيه وأنّ أمر الحجّ- بعد عمل رسول اللّه وتحديده المواقف والمشاعر، وتثبيته فى شهر خاصّ- أصبح كالشمس فى رائعه النهار فهو أرفع من أن يحوم حوله الشكّ من حيث الزمان والمكان. فأىّ صله لهذا الكلام بحرمه المجادله أوّلًا، وحرمه المظاهرات السياسيه ثانياً، لو قلنا بأنّها من مصاديق الجدال.

قال ابن جرير:

«وأعجب الأقوال إلىّ فى ذلک- إذ كان الأمر على ما وصفت- قراءه من قرأ «فلا رفَثٌ وَلا فُسُوقٌ وَلا جِدالَ فِى الحَجِّ» برفع الرفث والفسوق وتنوينهما، وفتح الجدال بغير

۱- تفسير القرطبى: ۲/ ۴۱۰.

تنوين، وذلک هو قراءه البصريّين وکثير من أهل مکّه منهم عبداللَّه بن کثير، وابن عمرو بن العلاء».(۱) وإنّما رفع الأوّلان ونصب الثالث حملًا للأوّلين على معنى النهى کأنّه قيل: فلا يکوننَّ رفث، ولا فسوق، والثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدال کأنّه قيل: ولا شکّ ولا خلاف فى الحجّ، أى فى موعده وزمانه.

المعنى الثالث

ما اختاره کثير من المفسّرين هو حمل النفى على النهى والغايه هو النهى عن الأُمور الثلاثه، وعندئذٍ يتوهّم المستدلّ أنّ ظاهر الآيه هو النهى عن مطلق الجدال ومنه المظاهرات السياسيه.

غير أنّه يجب على المريد للحقيقه وقفه قليله حتّى يتبيّن أمران:

۱. إنّ الجدال ينقسم إلى محرّم ومباح ومندوب، فهل

۱- تفسير ابن جرير: ۲/ ۱۶۱.

المنهیّ عنه هو مطلق الجدال أو یختصّ بالقسم الأوّل منه؟ وکونه محرّماً فی غیر الحجّ یلازم کونه محرّماً فیه أیضاً، بل تکون الحرمه أشدّ.

۲. إنّ المظاهرات السیاسیّه، وإلقاء الخطب، وإیقاظ المسلمین عن غفلاتهم، وإظهار البراءه من أعدائهم الشرقیّین والغربیّین، هل هی من مصادیق الجدال وموارده أو لا صله لها بذلک أبداً؟ وإلیک بیان الأمرین:

إنّ المراد بالجدال هنا هو المراء الذی یجب الاجتناب عنه فی الحجّ وغیره، ولکنّه فی الحجّ أولی.

قال الزمخشری:

«ولا ـ جدال: أی ولا ـ مراء مع الرفقاءوالخدم والمکارین، وإنّما أمر باجتناب ذلک، وهو واجب الاجتناب فی کلّ حال، لأنّه فی الحجّ اسمج کلبس الحریر فی الصلاه، والتطریب فی قراءه القرآن». (۱)

۱- الکشاف: ۱/ ۲۶۳.

وقال فى المنار:

«الجـدال: المراء والخصـام، فتكون هـذه المنـاهى كلّهـا آداب لسـانيه، ويجب أن يكون المرء فى أوقات العباده والحضور مع اللَّه سبحانه على أكمل الآداب وأفضل الأحوال». (١)قال الجصّاص:

«الجـدال: المراء، وقـال ابن عبّاس: الجـدال أن تجادل صاحبك حتّى تغيضه. ثمّ قال: إنّ المُحْرم منهى عن السـباب والمماراه فى أشـهر الحـجّ وفى غير ذلـك وعن الفسوق، وإن كانت محظوره قبل الإحرام، فإنّ اللَّه نصّ على حظرها فى الإحرام تعظيماً لحرمه الإحرام، ولأنّ المعاصـى فى حال الإحرام أعظم وأكبر عقاباً فى غيرها منها».(٢) ويوضّح ذلك اقتران «الجدال» مع «الفسوق» فهو يكشف عن كون الأمرين من قماش واحد وجنس واحد، فلا

١- تفسير المنار: ٢/ ٢٢٧- ٢٢٨.

٢- أحكام القرآن: ١/ ٣٠٨.

يصحّ تعميمه إلى مطلق الجدال المباح أو المندوب فى الشريعه.

وفى الشريعه الإسلاميه أنواع جدال مباحه بل ومندوبه لا تعمّها الآيه.

أمّا المباح منها فهو ما ورد فى قوله سبحانه:

(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتى تُجادِلُكَ فِى زَوجِها وَتَشْتَكى إِلَى اللَّهِ). (۱)فلو حدَث مثل هذا الأمر فى الحجّ لم يكن محرّماً لا من المتكلّم ولا من المستمع.

ويدلّ على أنّ المراد من الجدال هو الجدال الممنوع والمراء اللازم الاجتناب، أنّهم فسّروا الجدال فى الآيه بأُمور لا تخرج جميعها عن الجدال والمراء الممنوع.

قال الرازى: «ذكر المفسّرون وجوهاً فى هذا المجال:

۱- المجادله: ۱.

۱. هو الجدال الذی یخاف منه الخروج إلی السباب والتکذیب والتجهیل.

۲. قال محمّد بن کعب القرضی: إنّ قریشاً کانوا إذا اجتمعوا بمنی قال بعضهم: حجّنا أتمّ، وقال آخرون: بل حجّنا أتمّ، فنهاهم اللّه تعالی عن ذلک.

۳. قال مالک فی الموطّأ: الجدال فی الحجّ أنّ قریشاً کانوا یقفون عند المشعر الحرام فی المزدلفه بقزح وکان غیرهم یقفون بعرفات وکانوا یتجادلون یقول هؤلاء: نحن أصوب، ویقول هؤلاء: نحن أصوب، قال اللّه تعالی: (لِکُلِّ أُمَّهٍ جَعَلْنا مَنْسَکاً هُمْ ناسِکُوهُ فَلا یُنازِعُنَّکَ فِی الأَمْرِ وَادْعُ إِلی رَبِّکَ إِنّکَ لَعَلی هُدیً مُسْتَقیمٍ* وَإِنْ جادَلُوکَ فَقُل اللّهُ أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ) (۱)قال مالک: هذا هو الجدال.

۴. قال القاسم بن محمّد: الجدال فی الحجّ أن یقول بعضهم: الحجّ الیوم، وآخرون: بل غداً، وذلک أنّهم أُمروا أن

۱- الحجّ: ۶۷- ۶۸.

يجعلوا حساب الشهور على رؤيه الأهلّه.

۵. قال القفّال: يـدخل فى هـذا النهى ما جادلوا فيه رسول اللَّه حين أمرهم بفسخ الحجّ إلى العمره فشقّ عليهم ذلك، وقالوا: نروح إلى منى ومـذاكيرنا تقطر منيّاً؟! فقال صـلّى اللَّه عليه و آله و سـلَّم: لو اسـتقبلت من أمرى ما اسـتدبرت ما سـقت الهدى ولجعلتها عمره، وتركوا الجدال حينئذٍ.

۶. قال عبد الرحمن بن زيد: جدالهم فى الحجّ بسبب اختلافهم فى أيّهم المصيب فى الحجّ لوقت إبراهيم عليه الصلاه والسّلام.

۷. إنّهم كانوا مختلفين فى السنين فقيل لهم: لا جدال فى الحجّ فإنّ الزمان استدار وعاد إلى ما كان عليه الحجّ فى وقت إبراهيم.

فهذا مجموع ما قاله المفسّرون فى هذا الباب. (۱)فهذه الأمثله تفيد أنّ المراد من الجدال فى الآيه هو

۱- تفسير الإمام الفخر الرازى: ۱/ ۱۷۵.

الجدال المنهیّ عنه سواء أكان منهیّاً عنه بالنهی التحریمیّ أو النهی التنزیهیّ الكراهیّ.

وجاء فی «الفقه علی المذاهب الأربعه»: ویحرم الخروج عن طاعه اللَّه تعالی بأیّ فعل محرّم، وإن كان ذلك محرماً فی غیر الحجّ، إلّا أنّه یتأكّد فیه وتحرم المخاصمه مع الرفقاء والخدم ونحوهم لقوله تعالی: (فَمَنْ فَرَضَ فِیهِنَّ الحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدالَ فِی الحَجّ) والجدال: المخاصمه. (۱)وعلی ذلك فالجدال المباح والمناقشه من غیر أن یثیر غضب الآخر كالجدال الوارد فی قوله سبحانه: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الّتی تُجادِلُكَ فِی زَوجِها وَتَشْتَكی إِلی اللَّه) خارج عن مصبّ الآیه، فلو كانت المرأه الشاكیه محرمه، وقد رفعت أمرها إلی النبیّ وطلبت حقّها من زوجها، لم یُعَدّ ذلك من الجدال المحرّم والمراء المنهیّ عنه والمخاصمه المبغوضه بل یعدّ طلباً للحقّ عن طریقه.

۱- الفقه علی المذاهب الأربعه: ۱/ ۵۲۴.

روی المفسّرون أنّ امرأه من الأنصار بعد ما ظاهر منها زوجها جاءت إلی النبی وقالت: إنّ زوجی تزوّجنی وأنا شابه غانیه ذات مال وأهل حتّی إذا أکل مالی وأفنی شبابی وتفرّق أهلی وکبر سنّی ظاهر منّی ... إلی آخر ما ذکرته.

فإذا کان الجدال المباح خارجاً عنها فالجدال المندوب أولی بالخروج منه، کیف لا وقد أمر سبحانه نبیّه بالجدال المندوب فی کتابه.

فلو طرحت فی أثناء الحجّ مسأله فقهیه أو عقائدیه أو تفسیریه وعرض کلّ واحد رأیه فی المسأله وجادله الآخر بالتی هی أحسن، فلا یکون ذلک حراماً محظوراً بل هو عمل بقوله: (ادْعُ إِلی سَبیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَالمَوعِظَهِ الحَسَنَه وَجادِلْهُمْ بِالّتی هِیَ أَحْسَنُ ...).(۱) ولو جری بحث فی مخیّمات عرفات حول مسأله فقهیه أو کلامیه فأخذ أحد المسلمین موقفاً خاصّاً، ودافع عن

۱- النحل: ۱۲۵.

معتقـده بالـدليل والبرهـان من دون إبراز مخاصـمه أو لجـاج أو عناد فلا شكّ فی جواز ذلک، ولا يعـدّ ذلک داخلًا فی الجـدال الوارد فی الآيه.

هـذا ما لـدی القوم و أمّا ما عند أهل البيت الذين هم أعدال الكتاب وقرناؤه فی لسان النبیّ الأعظم (۱) فسّر الجدال المذكور فی الآـيه بقول الرجـل: لاـ واللَّه و بلی واللَّه، فـإذا حلف بثلاث أيمان متتابعات صادقاً فقـد جادل وعليه دم، وإذا حلف بيمين واحـده كاذبه فقد جادل وعليه دم. (۲)وأين هـذا من تحريم مطلق الجدال الّذی يدّعيه القوم؟! وإنّما المحرّم حسب رواياتهم هو الجدال الخاصّ كما عرفت.

۱- تواتر عنه صـلَّی اللَّه عليه و آله و سـلَّم: «إنّی تارک فيكم الثقلين كتاب اللَّه وعترتی أهل بيتی ما إن تمسّـكتم بهما لن تضلّوا» وقد نشرت دار التقريب بين المذاهب الإسلاميه رساله خاصه فی تحقيق اسناده ومتونه.

۲- نور الثقلين: ۱/ ۱۶۲، ولاحظ كتب الحديث كالوسائل وغيره.

لنفترض أنّ الآيه تعمّ جميع المجادلات المحرّمه فى غير الحجّ والمباحه والمندوبه كافه، غير أنّ المراد هو مجادله الحاج مع الحاج الآخر، أو مجادله الحاج مع من فى الحرم، وأمّا المظاهرات التى تقوم بها جموع الحجّاج المسلمين وإعلان البراءه من الكفّار والغضب من ممارساتهم المعاديه للإسلام والمسلمين، والدعوه إلى الاتحاد والوحده بين السملمين لمواجهه الأخطار والتحدّيات، فليس شىء من ذلك من الجدال أصلًا، فليس فى ذلك المحتشَد إلّا المسلمون وهم يد واحده وليس فى مقابلهم أحد من الكفّار والمنافقين حتّى يقع الجدال بين الطرفين.

ترى هل يعدّ ما فعله الإمام علىّ عليه السَّلام حيث قرأ آيات من سوره البراءه على الكفّار خلال موسم الحجّ بأمر رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه و آله و سلَّم جدالًا؟ أم أنّه إعلان لبراءه اللَّه ورسوله من الكفّار والمشركين، وأىّ فرق بين المقامين؟!

وإنّ المظاهرات الّتى يقوم بها المسلمون الحجّاج خلال الحجّ ليس إلّا تجسيداً وتحقيقاً لما جاء فى قول اللَّه تعالى:

(... أَشِدّاءُ عَلَى الْکُفّارِ رُحَماءُبَیْنَهُمْ ...). (۱)نعم إنّ السلطه بمنعها المسلمین من إعلان الغضب علی الکفّار والاستیاء من أعمالهم الإجرامیه توجد جوّاً من الجدال الممنوع، وتمنع المسلمین من أداء واجبهم الإسلامی، وتدفعهم إلی مناقشتهم ومجادلتهم، فتکون السلطات السعودیه هی المجادله وهی سبب الجدال.

فلو أُتیحت الفرصه، لاتّفق الحجّاج علی المشارکه فی هذه التظاهرات الشاجبه لأعمال الکفّار وجرائم الملحدین، ولما حدث أی نقاش بینهم، و فی الختام نسأل الخیّاط: أنّه یقول فی خطابه أنّ الحجّ مؤتمر سنوی یجتمع فیه المسلمون من کلّ فجّ عمیق، لو کان الحجّ علی ما زعم فماذا یجب أن یطرح فی هذا المؤتمر من مسائل؟

هل یجب أن تلقی کلمات بسیطه حول کراهه أکل البصل والثوم لمن یرید دخول المسجد، أو غسل الأقدام

۱- الفتح: ۲۹.

والأحـذيه من الأـتربه والعَرَق كما سـمعناه مراراً من خطباء المسـجد الحرام فى أيّام الحـجّ وجمعاتهم، وكأنّه ليست هناك مسأله إسلاميه غير هذا.

فـإذا تبيّن لـك أيّهـا القارئ بطلان ما قاله الخيّاط وبطلان اسـتدلاله، بل عـدم علاقه الآيه بالمقام، ينبغى أن نقف معاً على فلسـفه الحـجّ الحقيقيه بصوره مفصّـله وفى ضوء الآيـات القرآنيه والأحاديث الشـريفه والوقائع التاريخيه من سـيره السـلف وإليك ذلك إجمالًا.

۳- ماذا یهدف إلیه الحجّ؟

اشاره

لا شکّ أنّ أوّل ما یهدف إلیه الحجّ وأهمّ ما تقصده مناسکه هو المزید من توجیه العبد إلی اللَّه، ودفعه إلی الخضوع له، وتقویه صلاته به سبحانه، وتعمیق الإیمان فی قلبه، وتکریس الاعتقاد بوحدانیته فی ضمیره.

والأحری أن نقول بإیجاز: إنّ الهدف الأهمّ من الحجّ هو العباده والتعبّد، ابتداءً من الإحرام للعمره، ومروراً بالطواف بالکعبه المشرّفه فالصلاه فالسعی فالتقصیر ثمّ الإحرام ثانیه للحج فالوقوف بعرفه فالإفاضه إلی المزدلفه والوقوف بها، فالذهاب إلی منی والمبیت بها لیالی، فالرمی فالنحر أو الذبح فالحَلق فالطواف بالکعبه المعظّمه أیضاً، وانتهاءً بالسعی بین

الصفا والمروه، وما يتخلّل كلّ ذلك، أو يصاحبه من أدعيه وأذكار، وامتناع عن محرّمات خاصّه، قربه إلى اللَّه سبحانه وتعالى.

إنّها العباده في أفضل أشكالها.

وإنّها إظهار العبوديه في أعلى مظاهرها.

وإنّها الخضوع لذي الجلال في أسمى صوره وأنماطه.

وإنّها التضرّع إلى اللَّه في أعمق أنواعه.

فالحجّ عباده جامعه تتوفّر فيها كلّ عناصر إظهار العبوديه، وكلّ أشكال الخضوع والطاعه للربّ العظيم الكريم، من انقطاع عن الدنيا، وإعراض عن الشهوات وتضحيه بالمال، وتذلّل وذِكر، وتهليل وتسبيح وتحميد وتكبير، وتوحيد للَّه في الطاعه والانقياد والخضوع والالتماس، والاستعانه والعباده، وخروج عن إطار الرغبات المادّيه، وتناسٍ موقّت للمال والولد والأهل والوطن في سبيل اللَّه، ومن أجل اللَّه، وبأمر اللَّه، وتقرّباً إلى اللَّه، وامتثالًا لحُكم اللَّه، وتنفيذاً

الحج موسم عبادي و ملتقى سياسي،

لإراده اللّٰه، وتلبيهً لنداء اللّٰه وحده لا شريک له.

إنّها عباده ولا شکّ، ولکن هل يتلخّص هدف الحجّ هذا المنسک العظيم فی العباده المحضه؟

وهل فرض الحجّ على عامّه المسلمين رجالًا ونساءً، شيباً وشبّاناً، ومن کلّ لون وجنس، ليؤدّوا أمراً فی مجال العلاقه بربّهم خاصّه، دون أن يکون لهذا الواجب المقدّس أیّ مفهوم اجتماعی، وأیّ ارتباط بحياتهم وشؤونهم؟

وهل أصغر عمل عبادیٍّ فی الإسلام يخلو عن مفهوم اجتماعی، حتّى يخلو منه هذا المنسک العظيم، وهذه الفريضه الکبرى ذات الأجزاء والعناصر الکثيره، وذات الطابع الاجتماعی - کصلاه الجمعه؟!

إنّ الآيات القرآنيه، والسنّه الشريفه، وسيره السَّلف، وأقوال العلماء، کلّها تُجمع على أنّ هدف الحجّ لا ينحصر ولا يتلخّص فی کونه مجموعه من المراسم العباديه المحضه وتضرّع يُبديه العبد بحياته الاجتماعيه، شأنه شأن غيره من الفرائض

الإسـلاميه كالصـلاه والصـيام والزكاه والجهاد وغيرها الّتى لا تشـتمل على الأُمور التعبّديه فقط، بل تنطوى على أهداف اجتماعيه وآثار سياسيه فى حياه المسلمين، أفراداً وشعوباً.

وهو أمر يؤيّده العقل السليم ويؤكّده المنطق المستقيم.

إنّ الإسـلام دين شامـل أى أنّه نظـام عباديّ وسياسـيّ واقتصاديّ واجتماعيّ، وأنّه على العكس من اليهوديه والنصـرانيه الحاضـره والمبادئ البشـريه الوضـعيه، ليس إلّا مجموعه متناسـقه من المعتقـدات والقوانين والأخلاق فى شتّى حقول الحياه، بل و كلّ جزء من هـذا الـدين هو الآخر خليـط مـدروس، ومزيـج محسوب من الأبعـاد المختلفه، وتركيب متوازن من الفرد والجماعه، والعباده والسياسه والاقتصاد والصحه، والدنيا والآخره.

بل العباده فى منطق هذا الدين يتسع نطاقها حتّى تشـمل الحياه كلّها وتعمّ جميع الأعمال البشـريه إذا كانت لأجل اللّه، فلا تقتصـر على الشعائر التعبّديه المعروفه من

صلاه وزکاه وحجّ، إنّها تشمل کلّ عمل ترتقی به الحیاهویسعد به الناس.

ولهذا قال النبیّ الأکرم صلَّی اللَّه علیه و آله و سلَّم لأبی ذر:

«لیکن لک فی کلّ شی ء نیّه صالحه حتّی فی النوم». (۱)فالحجّ کما نکتشف ذلک من الکتاب والسنّه وسیره السلف وأقوال العلماء المحقّقین لا- یتلخّص فی کونه موسماً عبادیاً- بالمفهوم المألوف عند کثیرین- بل هو إلی جانب ذلک مؤتمر سیاسیّ عالمیّ وملتقی اجتماعیّ عامّ یوفّر للمسلمین القادمین من شتّی أنحاء المعموره فرصه التعارف والت آلف واللقاء والانتفاع بعضهم ببعض، ومداوله أُمورهم، وحلّ مشاکلهم السیاسیه والاجتماعیه والاقتصادیه فی جوٍّ من الأمن والقداسه والصفاء والمحبّه.

وهذا هو ما نبتغی استعراضه والتدلیل علیه فی هذه الصفحات القلائل مع الاعتراف بأنّ هذه المسأله ودراسه

۱- مدینه البلاغه فی خطب النبیّ وکتبه ومواعظه: ۱/ ۴۶۹.

أبعاد الحجّ العباديه والسياسيه والاجتماعيه أوسع بكثير من أن تستوعبها هذه الدراسه الموجزه، ولهذا نأمل أن يكون ما جاء في هذا الفصل مجرّد دليل لا أكثر، وعلى المسلمين عامّه، والحجّاج خاصّه أن يحاولوا- بأنفسهم- التعرّف على المزيد من الحقائق في هذا المجال وذلك بالتدبّر في هذه الفريضه ومناسكها، والتأمّل في الآيات والأحاديث الشريفه في هذا الصعيد.

۱. مشاهده المنافع فی الحج

۴ أبعادُ الحجّ الاجتماعیه والسیاسیه فی القرآن

لقد وصف القرآن الکریم «الحجّ» فی عدّه مواضع بأنّ فیه ما ینفع الناس ویضمن مصالحهم، إذ قال تبارک وتعالی:

(وَأَذِّنْ فِی النّاسِ بِالحَجِّ یَأْتُوکَ رِجالًا وَعَلَى کُلِّ ضامِرٍ یَأْتینَ مِنْ کُلِّ فَجٍّ عَمیقٍ* لِیَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَیَذْکُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِی أَیّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِیمَهِ الأَنْعامِ فَکُلُوا مِنْها وَأَطْعِمُوا البائسَ الفَقیرَ* ثُمَّ لْیَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْیُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْیَطَّوَّفُوا بِالْبَیْتِ الْعَتیقِ* ذلِکَ وَمَنْ یُعَظِّمْ حُرُماتِ اللَّهِ فَهُوَ خَیْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَکُمُ الأَنْعامُ إِلّا ما یُتلى عَلَیْکُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوثانِ وَاجْتَنِبُوا قَولَ الزُّورِ* حُنَفاءَ للَّهِ غَیْرَ مُشْرِکینَ بِهِ وَمَنْ یُشْرِکْ بِاللَّهِ فَکَأَنّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ

فَتَخَطَّفُهُ الطَّيْرُ أَو تَهْوى بِه الرِّيحُ فى مَكانٍ سَحِيقٍ* ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوى الْقُلُوبِ* لَكُمْ فيها مَنافِعُ إِلى أَجَلٍ مُسمّى ثُمَّ مَحِلُّها إِلَى البَيْتِ الْعَتيقِ). (۱)

۱. مشاهده المنافع فى الحجّ

والملاحَظ فى الآيه الثانيه من الآيات أُمورٌ ثلاثه:

أوّلًا: جعل المنافع إلى جنب ذكر اللَّه وفى مقابله وهو يوحى بأنّ الحجّ ذو بُعدين:

أحدهما عبادىّ ويتجسّد فى ذكر اللَّه، والآخر غير عبادىّ بالمعنى المصطلح المألوف ويتمثّل فى المنافع.

ثانياً: تقديم «المنافع» على «ذكر اللَّه» الّذى يمثّل الجانب العبادى.

ثالثاً: جعل المنافع مطلقه غير مقيّده، فلم يقل سبحانه: منافع اقتصاديه، ممّا يوحى بأنّ هذه المنافع تشمل المنافع الاقتصاديه والسياسيه والاجتماعيه، وغيرها.

۲. الحج وصلته بالجهاد

۱- الحج: ۲۷- ۳۳.

قال الإمام الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر الأسبق فی تفسیر الآیه:

«فالمنـافع الّتی جُعـل الحـجّ سبیلًـا لشـهودها والحصول علیها- وهی أوّل ما ذُکر فی حکمه الحـجّ- عامّه مطلقه لم تُقیَّد بنوع دون نوع، ولاـ نـاحیه دون ناحیه، وهی بعمومها وإطلاقها تشـمل کلّ ما ینفع الفرد والجماعه، وتصـلح شأنهما، فطهاره النفس والتقرّب إلی اللَّه منفعـه، والتشـاور فی رسـم خطـط العلـم والثقـافه، وفی جمـع الکلمـه علی ترکیز الـدعوه، والعمـل علی إظهـار الإســلام وأحکامه الرشیده منفعه، وإعداد العُدَد لنسج خیوط الشخصیه الإسلامیه من التحلّل والذوبان منفعه، وهکذا تتعدّد المنافع، وتتنوّع علی حسب مقتضـیات الأـحوال الّتی توحی بهـا الأـزمنه ومواقف النـاس من النـاس». (۱)وقـال أیضاً: «والحـجّ باعتبار مکانته فی الإسلام، وغایته المقصوده منه للفرد والجماعه جدیر بأنّه یتّجه إلیه

۱- الشریعه والعقیده: ۱۵۱.

رجـال العلم والرأی، ورجـال التربیه والثقـافه، ورجـال النظـام والإدارِه، ورجال المال والاقتصاد، ورجال الشـرع والـدین، ورجال الحرب والجهاد.

جـدیر أن تفـد إلیه الطبقـات ذات الرأی والحزم، ذات النظر والاجتهاد، ذات الإیمان الصادق والأهـداف السیاسـیه التی یجب أن یقصـدها المسـلمون فی حیاتهم، جـدیر أن یتجه إلیه هؤلاء جمیعاً فتراهم وقـد نشـرت مکّه أجنحتها علیهم، وجمعتهم بکلمه اللّه حول بیت اللّه یتعارفون و یتشاورون ویتعاونون ثمّ یعودون إلی بلادهم أُمّه واحده متّحده القلب، متّحده الشعور والإحساس». (۱)

۲. الحج وصلته بالجهاد

هذا والجدیر بالذکر أنّ آیات الحجّ هذه تستمر حتّی تنتهی وتتصل بقوله تعالی:

۱- المصدر السابق: ۱۵۰.

(إِنَّ اللَّهَ يُدافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوّانٍ كَفُورٍ* أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النّاس بَعْضَهُمْ بِبَعضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ). (۱) وليس من قبيل الصدفه- حاشا القرآن عن ذلك- أن تنتظم الآيات بهذا الشكل دون أن يكون بينها ارتباط.

إنّ وحده السياق وتوارد هذه الآيات بهذا النحو يشعر بوجود صله قويّه بين الحجّ والعمل السياسى ولا نريد القول بأن يتحوّل الحجّ إلى ساحه قتال، ولكن أقلّ ما يوحى به السياق هو أن يكون الحجّ مرحله للإعداد للمواجهه.

إنّ أقلّ ما يمكن استفادته من هذا النظم والسياق الذى جمع بين آيات الحجّ والجهاد، ومقاومه الظلم والنصر

۱- الحج: ۳۸- ۴۰.

الإلهی للمظلومین هو أنّ الحجّ خیر مکان لتعبئه المسلمین روحیاً ونفسیاً لمواجهه الظلم والظالمین، ومقارعه الاستکبار والمستکبرین والاستعمار والمستعمرین.

إنّه خیر فرصه لأن یلوّح المسلمون المجتمعون هناک من کلّ قطر بما لدیهم من قوّه وشوکه، ویعلنوا عن موقفهم السیاسیّ الموحّد، ویلقّنوا الأعداء درساً لا ینسوه وإن کان هذا لا ینحصر فی الحجّ، فمقارعه الظلم والظالمین والإعلان عن الاستیاء ضدّ أعداء اللَّه لا یخضع لحدود الزمان والمکان.

هذا وقد فسّر المفسّرون المنافع بما یعمّ أُمور الدنیا والدین، فعن ابن جریر الطبری بعد نقله أقوالًا فی تفسیر المنافع:

«وأولی الأقوال بالصواب قول من قال: عنی بذلک (لیشهدوا منافع لهم) من العمل الّذی یرضی اللَّه والتجاره، وذلک أنّ اللَّه عمّ منافع لهم جمیع ما یشهد له الموسم، ویأتی له مکّه أیّام الموسم من منافع الدنیا

والآخره و لم يخصّص شيئاً من منافعهم بخبر ولا عقل فذلك على العموم فى المنافع». (۱) ۳. الكعبه و (قياماً للناس)

ثمّ إنّ القرآن الكريم يصف الكعبه المشرّفه بأنّها جُعلت قياماً للناس إذ يقول:

(جعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَهَ الْبَيْتَ الْحَرامَ قِياماً لِلنّاسِ ...). (۲) وقد وردت كلمه «قيام» فى شأن المال أيضاً إذ يقول سبحانه:

(وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ الّتى جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِياماً ...). (۳) وهذا يوحى بوجه التشابه بين الحجّ والمال، فكما أنّ الاقتصاد والمال يقيم حياه الناس، ويضمن مصالح الأُمّه

۱- تفسير الطبرى: ۱۷/ ۱۰۸.

۲- المائده: ۹۷.

۳- النساء: ۵.

الإسـلاميه فكذلك الحجّ، وهذا يعنى أنّ إطار الحجّ لا يقتصر على العباده والتعبّد والضراعه بل يتّسع حتّى يشمل كلّ ماله ارتباط بمصالـح المسـلمين ممّا يقيم حياتهم وكيانهم، وأىّ شـى ء يقيم حياتهم أفضل من العمل السياسـى الّذى يعنى مقاومه الاسـتعمار والاسـتعباد والاسـتغلال، وتحقيق الاسـتقلال فى جميع المجالاـت، وتنبيه المسـلمين باسـتمرار على ما يـدور حولهم من مؤامرات وكيد ومكر، ودفعهم إلى اتّخاذ موقف واحد موحّد يجابه العدو ويصدّ المهاجم.

ثمّ إذا كـان المـال لاـ يجوز إعطاؤه للسـفهاء الـذين لا يعرفون كيف يتصـرّفون فيه لعـدم رشـدهم أو لنقصان عقولهم، فلا يجوز بطريق أولى أن يُترك الحجّ لمن لا يعرفون قيمته ووزنه وأهميّته فى حياه الأُمّه الإسلاميه.

وإليك ما قاله بعض المفسّرين فى هذه الآيه: قال ابن جرير الطبرى:

«يقول تعالى ذكره: صيّر اللّه الكعبه البيت الحرام

قواماً للنـاس الـذين لاـ قوام لهم من رئيس يحجز قويّهم عن ضـعيفهم، ومسـيئهم عن محسـنهم، وظـالمهم عن مظلومهم، وجعلها معالم لدينهم ومصالح أُمورهم». (۱) وفى تفسير المنار:

«انّه جعلها قياماً للناس فى أمر دينهم المهـذِّب لأخلاقهم المزكّى لأنفسـهم بما فرض عليهم من الحـجّ الـذى هو من أعظم أركان الدين لأنّه عباده روحيه ماليه اجتماعيه».

وقال أيضاً:

«إنّ جعل اللَّه تعالى هـذه الأشـياء- أى مناسك الحجّ- هو جعل تكوينىّ تشـريعى معاً وهو عامّ شامل لما تقوم به وتتحقّق مصالح دينهم ودنياهم». (۲)

۴. البراءه عن المشركين

۱- تفسير الطبرى: ۷/ ۴۹.

۲- تفسير المنار: ۷/ ۱۱۹.

۴. البراءه عن المشركين

ولو تغاضيناعن كلّ ذلك هل يمكن أن نتغاضى عن أنّ سوره «البراءه» التى تعلن عن أوضح موقف سياسى تجاه المشركين نزلت لتتلى فى أيّام الحجّ، وهو عمل سياسى بدون شك.

ولنستمع إلى الذكر الحكيم وهو يقول:

(بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* فَسيحُوا فِى الأرْضِ أَرْبَعَهَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعجزى اللّه وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِى الْكافِرِينَ* وَأَذانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرى ءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجزى اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذينَ كَفَرُوا بِعَذابٍ أَليم).

(۱) وقد أمر النبىّ الأكرم صلَّى اللَّه عليه و آله و سلَّم عليّاً عليه السَّلام بأن يبلّغ هذا

۱- التوبه: ۱- ۳ وبعدها.

الإنذار والنداء إلى المشركين فى أيّام الحجّ ففعل الإمام علىّ عليه السَّلام ذلک بشهاده کلّ المفسّرين والمؤرّخين والمحدِّثين.

نقل الطبرى ضمن حديث مسند:

«إذا كـان يوم النحر قام علىّ بن أبى طالب- رضـى اللَّه عنه- فأذّن فى الناس بالـذى أمره رسول اللَّه صـلَّى اللَّه عليه و آله و سـلَّم فقال:

يا أيّها الناس أُمرت بأربع:

۱. أن لا يقرب البيت بعد العام مشرک.

۲. ولا يطوف بالبيت عريان.

۳. ولا يدخل الجنّه إلّا نفس مسلمه.

۴. وأن يتمّ إلى کلّ ذى عهـد عهـده. وفى روايه أُخرى: ومن كان له عهـد عنـد رسول اللَّه صـلَّى اللَّه عليه و آله و سـلَّم فهو إلى مدّته». (۱)والحديث مكرّر بأسـناد مختلفه ومتعدّده، وتجد مثلها فى مسـند أحمد وتفسـير ابن كثير والدرّالمنثور فى تفسير الآيات وفى سنن التروإن شئت قلت: إنّ قوله سبحانه: (بَراءَهٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلى الّذينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكين) وقوله عزّمن

۱- تفسير الطبرى: ۱۰/ ۴۷.

قائل: (وَأَذانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلى النّاس يَومَ الحجِّ الأَكبَرِ أَنَّ اللَّهَ برى ءٌ مِنَ الْمُشْرِكينَ وَرَسُولُهُ) إنّ البراءه فى هاتين الآيتين لا تختصّ بمشركى قريش أو مشركى الجزيره العربيه، وإنّما البراءه فيهما هتاف إلهى يعمّ البراءه من مشركى العالم كلّه، الموجودين فى عصر الرساله ومن بعدهم إلى يوم القيامه.

فالذكر الحكيم يؤدّب الأُمّه الإسلاميه وينصّ على وظيفتهم الدينيه ويلزمهم بإنشاء البراءه فى كلّ زمان من المشركين عامّه، وعلى ذلك فلو قام ضيوف الرحمن كلّهم بالبراءه من الملحدين والمشركين- المتسلّطين على رقابهم- لأدّوا واجبهم بشكل جماعى.

وربما يتخيّل: أنّ البراءه والاستنكار الواردين فى هذه الآيات مختصّان بعصر الرسول صلَّى اللَّه عليه و آله و سلَّم ولا يتجاوز غيره، إنّه قول بلا دليل، وهو يُشبه بقول الذين يريدون أن يخصّصوا رساله الرسول صلَّى اللَّه عليه و آله و سلَّم وهدايه الذكر الحكيم بعصر خاصّ دون غيره.

ص: ۵۴

إنّ المسلم الحرّ لا يشكّ بأنّ الشيوعيين والملتفّين حولهم أسوأ من المشركين الذين أوجب الوحى الإلهى البراءه منهم. كما لا اعتقد أن يشكّ المنصف فى أنّ الشيطان الأكبر- أمريكا- أسوأ من المشركين وأضرّ منهم.

۵ أبعاد الحجّ الاجتماعيه والسياسيه فى السنّه

۴- أبعاد الحجّ الاجتماعيه والسياسيه فى السنّه

إنّ السنّه والسيرهالنبويه الشريفه هى الأُخرى تشير إلى أنّ النبىّ صلَّى اللَّه عليه و آله و سلَّم مارس الأعمال السياسيه فى الحجّ، هذا مضافاً إلى أنّ هناك أحاديث تفيد بأنّ الحجّ نوع من الجهاد لقوله صلَّى اللَّه عليه و آله و سلَّم:

«نِعْمَ الجهاد الحجّ».(۱) وقوله- عليه و على آله السلام-:

«الحجّ جهاد». (۲)

۱- صحيح البخارى: ۳/ ۲۲۱، كتاب الجهاد.

۲- سنن ابن ماجه: ۲/ ۹۶۸ و ۹۹۵، مسند أحمد: ۶/ ۲۹۴ و ۳۰۳.

وقوله- صلوات اللَّه علیه وآله-:

«الحجّ جهاد کلّ ضعیف». (۱)وقوله صلَّی اللَّه علیه و آله و سلَّم فی جواب نسوه استأذنه فی الجهاد:

«جهاد کنّ الحجّ».(۲) وفی بعض الأحادیث قرَنَ النبیّ صلَّی اللَّه علیه و آله و سلَّم الحجّ بالجهاد دون بقیه الفرائض، إذ قال: «الغازی فی سبیل اللَّه، والحاج والمعتمِر وَفْدُ اللَّه دعاهم فأجاه وسألوه فاعطاهم».(۳) وهو یوحی بوجود الصله وأوجه التشابه فی الآثار والأهداف بین هاتین الفریضتین.

وإن شئت قلت: إنّ ذلک یوحی بأنّ الحجّ لیس مجرّد عباده- بالمعنی المتعارف- بل عمل مشابه للجهاد فی الآثار والأهداف، أی أنّه عباده وعمل سیاسی، فهو موسم للعمل السیاسی کما هو موسم للعباده والضراعه والتوجّه إلی اللَّه بالتعبّد.

۱- مسند أحمد بن حنبل: ۶/ ۲۹۴ و ۳۰۳ و ۳۱۴.

۲- مسند أحمد: ۶/ ۷۱.

۳- سنن ابن ماجه، المناسک: ۲/ ۹۶۶ برقم ۲۸۹۲.

ثمّ إنّ السيره تحدّثنا بأنّ النبيّ الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خطب فى موضعين: عرفه فى سنن الترمذى: عن جابر فى باب حجّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله وسلّم قال: لمّا كان يوم الترويه وتوجّهوا إلى منى أهلّوا بالحجّ، و منى و أعلن فى خطبتيه عن مواقف وأحكام اقتصاديه وسياسيه واجتماعيه إسلاميه هامّه نذكر هنا مقاطع منها:

۱. إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمه يومكم هذا، فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا.

۲. ألا وإنّ كلّ شى ء من أمر الجاهليه موضوع تحت قدمَىَّ هاتين.

۳. ودماء الجاهليه موضوع وأوّل دم أضعه دم ربيعه بن الحارث- وكان مسترضعاً فى بنى سعد فقتلته هذيل-.

۴. وربا الجاهلیه موضوع، وأوّل ربا أضعه ربا العبّاس بن عبد المطّلب فإنّه موضوع كلّه.

۵. إنّ كلّ مسلم أخو المسلم، وإنّ المسلمین إخوه، فلا یحلّ لامرئ من أخیه إلّا أعطاه عن طیب نفسه منه.

۶. ثلاث لا یُغِلّ علیهنّ قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل للّه، والنصیحه لأئمّه الحقّ، واللزوم لجماعه المؤمنین.

۷. الناس فی الإسلام سواء، لا فضل لعربیّ علی عجمیّ إلّا بتقوی اللَّه.

۸. إنّ المسلم أخو المسلم لا یغشّه ولا یخونه ولا یغتابه، ولا یحلّ له دمه ولا شی ء منه إلّا بطیبه نفسه.

۹. لا ترجعوا بعدی كفّاراً مضلّین، یملك بعضكم رقاب بعض.

۱۰. إنّكم مسؤولون فلیبلغ الشاهدُ منكم الغائب.

ثمّ استشهدهم علی ما بلّغ فشهدوا له بذلك.(۱)

۱- وقد وردت هاتان الخطبتان اللّتان دمجناهما هنا فی صحیح مسلم فی حدیث حجّ النبیّ صلَّی اللَّه علیه و آله و سلَّم وفی سنن أبی داود، وسیره ابن هشام وغیرها.

ولعلّ ما جاء وصحّ عن الرسول صلَّى اللَّه عليه و آله و سلَّم من الأدعيه والأذكار فى الحجّ- تلك الّتى تتضمّن معان سياسيه إلى جانب معانيها التوحيديه- خير شاهد على أنّ الحجّ موسم مناسب لأن يظهر فيه المسلمون موقفهم من أعداء اللَّه والإسلام خاصّه وإذا عرفنا أنّه يستحبّ ترديد هذه الأدعيه ضمن مناسك الحجّ مثل الدعاء التالى:

«لاإله إلّا اللَّه وحده لا شريك له، له المُلك وله الحمد، يحيى ويُميت وهو على كلّ شى ء قدير». «لاإله إلّااللَّه وحده وحده، أنجز وعده، ونَصَر عبده، وهَزَم الأحزابَ وحده». (۱)هذا مضافاً إلى ما فى مناسك الحجّ من رمزيه، فكلّ منسك من هذه المناسك يرمز إلى شى ء اجتماعى وسياسى وأخلاقى مضافاً إلى كونها عبادةً وانقياداً وإن لم يمكن الوقوف الكامل على كلّ ما تنطوى عليه هذه المناسك من معانٍ.

۱- سنن أبى داود: ۲/ ۲۱۳، المناسک، سنن الترمذى: ۲/ ۲۱۳ الحج.

وقد أشار كثير من علماء الإسلام والمفكّرين الإسلاميّين إلى ما ترمز إليه هذه المناسك من أُمور معنويه واقتصاديه واجتماعيه وسياسيه نحيل القارئ الكريم إليها رعايه للاختصار.

هذا مضافاً إلى أنّ هناك ما يدلّ على أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مزج الأعمال العباديه بالأهداف والممارسات السياسيه في الحجّ.

ففي البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال:

«لمّا قَدِمَ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعامه الذي استأمن فيه قال: ارملوا- ليُرى المشركين قوّتهم-».(۱) قال ابن الأثير في النهايه:

أمر النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم برَمَلِ الطواف أصحابه في عمره القضاء ليُرى المشركين قوّتهم حيث قالوا: وهتتهم حمّى يثرب وهو مسنون في بعض الأطواف دون بعض.

۱- صحيح البخاري: ۵/ ۱۸۱، باب عمره القضاء.

ولمّا استقرّ أمر الإسلام واستتب قال عمر: فيم الرَّمَلان- أی الطواف بتلك الكيفيه- أو الكشف عن المناكب وقد أطّأ اللّه الإسلام ونفی الكفر وأهله ...».

وهذا يشير إلی أنّه يجوز أن يضمّ الحاج إلی مناسكه مقاصد سياسيه وأغراض جهاديه مثل إرهاب الأعداء واستنكار أعمالهم، وشجب مؤامراتهم وفضح خططهم.

ثمّ ألا يدلّ اختيار الرسول صلَّی اللَّه عليه و آله و سلَّم لسورتی التوحيد (قل هو اللَّه أحد) والكافرون (قل يا أيّها الكافرون) فی صلاه الطواف (۱)واستحباب قراءتهما للمسلم الحاج، والحال أنّ هناك سوراً أُخری أو آيات أُخری قد تحتوی علی معان وأبعاد أخلاقيه وتربويه أكثر، ويشهد علی أنّ الحجّ هذا المشهد الإسلامی العالمی، وهذا المجمع العام خير وقت لإعلان الموقف السياسی الصارخ ضدّ قوی الكفر والاستكبار، كما ويوحی بذلك أنّ عمر بن الخطّاب كان يقول إذا كبّر واستلم

۱- راجع صحيح مسلم: ۴/ ۴۰ كتاب الحجّ باب حجّه النبیّ صلَّی اللَّه عليه و آله وسلَّم.

الحجر:

«بسم اللَّه واللَّه أكبر على ما هـدانا، لاإله إلّا اللَّه، لا شـريك له، آمنت باللَّه وكفرت بالطاغوت». (۱)ثمّ إنّ الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السَّلام قال فى بيان فلسفه الحجّ ضمن ما قال:

«إنّ اللَّه عزّ وجـلّ خلق الخلق لا لعلّه إلّا أنّه شاء ففعل فخلقهم إلى وقت مؤجّل، أمرهم ونهاهم ما يكون من أمر الطاعه فى الـدين ومصـلحتهم من أمر دنيـاهم، فجعـل فيه الاجتماع من المشـرق إلى المغرب ليتعارفوا ... ولتعرف آثار رسول اللَّه صـلَّى اللَّه عليه و آله و سـلَّم وتعرف أخبـاره ولاـ تُنسـى، ولو كـان كلّ قوم إنّما يتّكلون على بلادهم وما فيها هلكوا وخربت البلاد وسـقط الجلب والأرباح، وعميت الأخبار ولم يقفوا على ذلك، فذلك علّه الحجّ». (۲)

۱- تاريخ مكّه: ۱/ ۳۳۹ طبعه مكّه المكرّمه عام ۱۳۸۵ ه

۲- بحارالأنوار: ۹۹/ ۳۳ عن علل الشرائع للصدوق.

وعنه علیه السَّلام أنّه قال أیضاً:

«ما من بقعه أحبّ إلی اللَّه من المسعی، لأنّه یذلّ فیه کلّ جبّار». (۱)

۱- بحار الأنوار: ۹۹/ ۴۹.

۵– أبعاد الحجّ الاجتماعیه والسیاسیه فی سیرهالسلف

إنّ التاریخ یحدّثنا أنّ السلف الصالح لم یقتصر فی الحجّ علی المناسک والعباده بل استغلّوا هذه المناسبه للعمل السیاسی کجزء طبیعی من هذه الفریضه لا کشی ء زائد علیها أو أجنبی عنها.

فها هو الإمام الحسین بن علی سبط الرسول وحفیده- صلوات اللَّه علیهم أجمعین- یحتجّ علی حاکم جائر من حکّام زمانه فی منی أیام الحجّ.

فقد جمع علیه السَّلام بنی هاشم ورجالهم ونساءهم وموالیهم من حجّ منهم ومن لم یحجّ ومن الأنصار من یعرفونه وأهل

الحج موسم عبادی و ملتقی سیاسی،

بیته، ثمّ لم یدع أحداً من أصحاب رسول اللّهصلّی اللّه علیه و آله و سلّم ومن أبنائهم والتابعین ومن الأنصار المعروفین بالصلاح والنسک إلّا جمعهم، فاجتمع علیه بمنی أکثر من ألف رجل، والحسین علیه السّلام فی سرادقه، عامّتهم التابعون وأبناء الصحابه، فقام الحسینعلیه السّلام فیهم خطیباً فحمد اللّه وأثنی علیه، ثمّ قال:

«أمّا بعد، فإنّ هذا الطاغیه قد صنع بنا ما قد علمتم ورأیتم وشهدتم وبلغکم، وإنی أُرید أن أسألکم عن أشیاء فإن صدقت فصدّقونی، وإن کذبت فکذّبونی، اسمعوا مقالتی واکتموا قولی ثمّ ارجعوا إلی أمصارکم وقبائلکم من أمنتموه ووثقتم به فادعوهم إلی ما تعلمون فإنّی أخاف أن یندرس هذا الحقّ ویذهب، واللّه متمّ نوره ولو کره الکافرون». (۱)فما ترک الحسین شیئاً أنزل اللّه فیهم من القرآن إلّا

الحج موسم عبادی و ملتقی سیاسی،

۱- الاحتجاج للطبرسی: ۲/ ۸۷- ۸۸؛ کتاب سلیم بن قیس: ۱۸۳.

قاله ... وقال:

«أُنشدكم باللَّه إلّا رجعتم وحدّثتم به من تثقون به».

ثمّ نزل وتفرّق الناس على ذلك.

وها هو عثمان بن عفّان يكتب إلى جميع الأمصار الإسلاميه أيّام خلافته كتاباً قال فيه:

«إنّى آخذ عُمّالى- أى ولاتى- بموافاتى فى كلّ موسم- أى موسم الحجّ- وقد سلّطت الأُمّه على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فلا يُرفَع علىّ شى ء ولا على أحد من عُمّالى إلّا أعطيته، وليس لى ولا لعُمّالى حقٌّ قِبَل الرعيه إلّا متروك لهم، وقد رفع إلىّ أهل المدينه أنّ أقواماً يشتمون و يضربون فمن ادّعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم- أى فليأت إلى الحجّ- يأخذ حقّه حيث كان منّى أو من عُمّالى، أو تصدّقوا إنّ اللَّه يجزى المتصدّقين». (۱)بل ووجد غير المسلمين فرصتهم فى الحجّ ليعرضوا على

۱- راجع العباده فى الإسلام: للدكتور يوسف القرضاوى.

الخلیفه شکاواهم، فیقوم الخلیفه بإنصافهم فی زمن الحجّ لا ـ بعدئذٍ، فکلّنا یعلم قصّه ابن القبطی الّذی سابق ابن والی مصر وفاتحها عمرو بن العاص فسبق القبطی فضربه ابن عمرو، فأنهی أبوه مظلمته إلی عمر فاقتصّ منه فی موسم الحجّ علی مرأی ومسمع من أُلوف الحجیج، ثمّ قال للوالی عمرو بن العاص کلمته أمام شهود المؤتمر الکبیر:

«یا عمرو متی استعبدتم الناس وقد ولدتهم أُمّهاتم أحراراً». (۱)وقد جاء فی کتب الفریقین: أنّ هشام بن عبد الملک حجّ فی خلافه أبیه وطاف بالبیت فأراد استلام الحجر فلم یقدر علیه من الزحام، فنصب له منبر فجلس علیه إذ أقبل علیّ بن الحسین علیهما السَّلام وعلیه أزار ورداء، من أحسن النّاس وجهاً وأطیبهم رائحه وبین عینیه سجاده کأنّها رکبه عنز،

۱- راجع المصدر السابق، وکذلک کتاب «ماذا خسر العالم الإسلامی» لأبی الحسن الندوی نقلًا عن تاریخ ابن الجوزی.

فجعـل يطوف بـالبيت فإذا بلغ الحجر تنحّى عنه النّاس حتّى يسـتلمه هيبةً له وإجلالًا، فغاظ ذلك هشاماً فقال رجل من أهل الشام لهشـام: من هـذا الّـذى قـد هـابه النـاس هـذه الهيبه وأفرجوا له عن الحجر؟ فقـال هشـام: لا أعرفه، لئلّا يرغب فيه أهل الشام فقال الفرزدق- و كان حاضراً-: لكنّى أعرفه، فقال الشامى: من هو يا أبا فراس؟ فأنشأ قصيده نذكر بعض أبياتها هنا:

هذا الّذى تعرف البطحاء وطأته

هذا ابن خير عباد اللّه كلّهم

هذا الّذى أحمد المختار والده

والبيت يعرفه والحلُّ والحرمُ

هذا التقىّ النقىّ الطاهر العلمُ

صلّى عليه إلهى ماجرى القلمُ

الحج موسم عبادى و ملتقى سياسى،

إلى أن قال:

فجدّه فی قریش فی أرومتها

بدرٌ له شاهدٌ والشِّعب من أُحد

وخیبر وحنین یشهدان له

مُحمدٌ وعلیٌّ بعده عَلَمُ

والخندقان ویوم الفتح قد عُلِمُوا

وفی قریظه یومٌ صیلمٌ قتمُ(۱)وقد نقلت هذه القضیه فی کثیر من الکتب التاریخیه والأدبیه لاحظ البیان والتبیین والعقد الفر وهکذا نجد هذا الشاعر الإسلامی الکبیر یجابه ذلک الخلیفه الجائر بهذه القصیده الحماسیه ویعرّف بالإمام الحقّ من آل الرسول فی مواجهه سیاسیه حامیه، الأمر الذی یدلّ علی شرعیه هذا العمل فی موسم الحجّ وجوازه لعدم إنکار أحد من المسلمین علیه، لا آنذاک ولا بعدئذٍ.

۱- الأغانی: ۲۱/ ۳۷۶ طبعه بیروت، و مناقب ابن شهر اشوب: ۴/ ۱۶۹

وبعباره أُخرى: إنّه يستغلّ تلك المناظره السياسيه القويه ليُعرّف الإمام أمام جموع الحجيج الوافده إلى بيت اللّه الحرام، باعتباره وارثاً محقّاً لآل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وهذه الحادثه تعطيناالدليل الناصع على أنّ العمل السياسى فى موسم الحجّ يعتبر قانونياً وشرعياً، وذلك لأنّه لم يتمّ منع أو تحريم أداء مثل هذه الممارسات سواء فى تلك الأيام أو الأعوام التى أعقبت ذلك.

ويجدر هنا أن نشير إلى ما كتبه الكاتب الإسلامى المعاصر فضيله الدكتور يوسف القرضاوى فى كتابه القيّم «العباده فى الإسلام» فى هذا الصدد:

«عرف الخلفاء قيمه هذا الموسم العالمى، فجعلوا منه ساحه لقاء بينهم وبين أبناء الشعب القادمين من كلّ فجّ عميق، وبينهم وبين ولاتهم فى الأقاليم، فمن كانت له من الناس مَظْلمه أو شكايه فليتقدّم بها إلى الخليفه ذاته بلا وساطه ولا حجاب، وهناك يواجه الشعبُ الوالى أمام الخليفه بلا تهيّب ولا تحفّظ، فيغاث الملهوف وينصف المظلوم و يردّ

الحـقّ إلى أهله، ولـو كـان هـذا الحقّ عنـد الوالى أو الخليفه». (۱)فإذا كان الحـجّ موسـماً لبيان الظلامات والشـكاوى من الحكّام والولاه المسـلمين، أفلا يكون من الأولى أن يجوز فيه الشـكوى من الاستعمار وأذنابه وعملائه، واستنصار المسلمين عليهم؟ وهل يجوز أن نشـكو الوالى إذا تعـدّى حدوده، ولا يجوز أن نشـكو المسـتعمر الظالم والأجنبىّ الغازىّ وهو يرتكب كلّ تلك الجرائم والمجازر؟

۱- العباده فى الإسلام: ۲۹۳.

۶- أبعاد الحجّ السیاسیه والاجتماعیه فی کلمات العلماء

لقد کتب العلماء والمفکّرون الإسـلامیون الکثیرَ عن أهمیه الحجّ سیاسـیاً واجتماعیاً واعتبروه خیر موسم وأفضل فرصه للمسـلمین للتعبیر عن قوّتهم وشوکتهم، ویقظتهم ووحدتهم بالقول والعمل بالشعار والشعور.

فها هو العلّامه محمّد فرید وجدی یکتب فی دائره معارفه، مادّه «حج» قائلًا:

«أمّا حکمه فرض الحجّ علی المسلمین، فممّا لا یتسع لبیانه مثل هذا المؤلّف وممّا یتبادر إلی الذهن من أمر الحجّ أنّ

أصحاب السلطه فی المسلمین لو أرادوا أن یستخدموه فی إحداث الوحده الإسلامیه لنجحوا، فإنّ اجتماع عشرات الأُلوف من الوفود فی صعید واحد من سائر أقطار الأرض واتجاه قلوبهم وآذانهم فی ذلک الموقف المهیب لکلّ ما یلقی إلیهم، یستوجب أن یتأثر الکلّ بروح واحده لا سیّما إذا دعوا إلی ما فیه خیرهم، فإذا رجعوا إلی أقطارهم وتشعّبوا فی قراهم وأمصارهم أذاعوا ما تعلّموه بین إخوانهم وکانوا لهم کأعضاء مؤتمر عامّ شکّل من جمیع الأجناس والأجیال یجتمع أعضاؤه فی کلّ عام مرّه. فأیّ أثر تقدّره لذلک الحادث الجلیل فی حیاه هذه الأُمّه الضخمه، وأی نتائج جلیله ترجوها منه إذا سوعد نهوض هذه الأُمّه من رقدتها، فسیکون الحجّ من أکبر عواملها ولا یسبقن إلی فکرک أنّ الأُمم الأجنبیه المحتلّه لبعض بلاد المسلمین، تمنع رعایاها عن الحجّ إذ ذاک، فإنّ حرکه الحیاه لو دبّت فی الأُمم فلا یستطیع أن یوقفها شی ء وللّه الأمر من قبل و من بعد». (۱)

۱- دائره المعارف: ۳/ ۳۵۰.

وجاء فى كتاب «الدين والحجّ على المذاهب الأربعه»:

«الحجّ سبيل التعارف والت آلف والتعادل وتوثيق العلاقات والروابط والصلات بين سائر الشعوب الإسلاميه فتأتلف قلوبهم وتتّحد كلمتهم فيعملون ما يصلح شأنهم ويقوّم ما اعوجّ من أمرهم».

وكتب الأُستاذ محمّد المبارک المستشار فى جامعه الملک عبد العزيز يقول:

«والتجرّد لمعنى العباده الخالصه واضح فى الحجّ بالإضافه إلى المعنى الاجتماعى الرائع، فهو مؤتمر عالمى يجتمع المشتركون فيه على صعيد واحد لعباده إله واحد، ومع ذلک فإنّ هذه العباده المتجرّده الخالصه ليست منعزله عن الحياه بل متصله بها، إذ يقولُ اللّه تعالى فى كتابه الكريم: (لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسمَ اللّه فى أَيّامٍ مَعْلُومات) فشهود منافعهم معنى عام يمكن أن يشمل مختلف مصالح المسلمين».

فإذا كان العمل السياسى يجوز فى الحجّ- كما عرفت من الكتاب والسنّه وسيره السلف وأقوال العلماء الأجلّاء، بل أنّ الحجّ فرصه مناسبه لتخويف الأعداء وإرهابهم وشجب مؤامراتهم- فأىّ عدوّ أعدى علينا من الولايات المتحده التى تت آمر ضدّ الإسلام والمسلمين على الدوام وتنهب خيراتهم وتسرق بترولهم؟

وأىّ عدوّ أعدى علينا من إسرائيل التى اغتصبت أرضنا وشرّدت شعبنا وقتلت ولا تزال تقتل أبناء فلسطين وتستبيح دماءهم وأعراضهم؟

وأىّ عدوّ أعدى علينا من روسيا الّتى تعادى الإسلام والمسلمين فى العقيده وفى كلّ شى ء و التى قد مارست القتل العام بحقّ مسلمى أفغانستان والشيشان، وتدافع عن الصرب الجناه فى تطهيرهم العرقى للمسلمين البوسنيين.

وأىّ عدوّ أعدى علينا من بريطانيا الّتى أوجدت الدوله اللقيطه إسرائيل وت آمرت ولا تزال تت آمر ضدّنا فى حقد صليبىّ عريق؟

وأیّ عـدوّ أعدی علینا من فرنسا التی قتلت مئات الآلاف من شـعبنا المسـلم فی الجزائر ولا تزال لها مجازر ومؤامرات هنا وهناک فی بلاد المسلمین؟

ولماذا نفرّق بین الولایات المتحده وروسیا وکلّهم ملّه واحده فی الکفربدیننا والت آمر البغیض علینا وقتل شعوبنا وسرقه ثرواتنا؟

ولماذا نترک فرصه الحـجّ العظیمه والاجتماع الملیونی الفریـد من نوعه والّـذی تکون من ۴۰ قطراً إسـلامیاً، یذهب أدراج الریاح دون أن نسـتثمره لإیقاظ المسـلمین وإیقافهم علی جرائم الغرب والشـرق ضـدّنا، وهل نحن عارفون بأحکام الحـجّ أکثر من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و السلف الصالح من بعده الذین کانوا یخلطون فی الحجّ بین العباده والعمل السیاسی؟

ولمـاذا لانفسـح المجال فی مکّه والمـدینه وعرفات ومنی لمظلومی فلسـطین والفلیبین والعراق وإیران وأفغانسـتان وأفریقیا ولبنان واریتریا وغیرها لیبیّنوا ظلامتهم ویوقفوا المسلمین علی ما یلاقونه من ظلم وحیف وقتل وجنایه

الاستعمار وأذنابه وعملائه؟

لماذا لا نفسح المجال فى مكّه والمدينه لأن تقام مؤتمرات وندوات لإيقاف المسلمين على حقيقه الاستعمار الأمريكى والروسى والبريطانى والفرنسى وخططهم الجهنّميه، ويطلعوهم على ما يفعله هؤلاء الغزاه الأجانب من نهب وسلب وقتل واستغلال؟

إلى متى يعطّل الحجّ من آثاره الاجتماعيه والسياسيه نزولًا عند رغبه الأجانب؟

وإلى متى يجتمع هذا العدد الهائل من المسلمين من كلّ أنحاء العالم ثمّ ينفضّ دون أن يتعرّف الأخ على أخيه ودون أن يقف الأخ على آلام أخيه وآماله؟

وإلى متى نخسر هذه الفرصه العظيمه الّتى هيَّأها الإسلام لهذه الأُمّه؟

وإذا فاتنا الحجّ فأين يمكن الحصول على مثل هذا الجمع الحاشد والعدد الهائل، وهذه الجماهير المؤمنه المهيّأه للعمل والتجاوب مع أىّ نداء إسلامى يطلبهم للجهاد

ويستحثّهم على النهوض؟

وكيف تسمح السلطه فى الحجاز أن تهدر هذه الفرصه العظمى، ويحرمَ المسلمون من الانتفاع بها كما أمر اللَّه سبحانه: (ليشهدوا منافع لهم)؟

بل و كيف يسمح المسلمون لأنفهسم أن يتركوا فرصه الحجّ تذهب هدراً دون أن يستثمروها فى سبيل قضاياهم الملحّه وحلّ مشكلاتهم؟

الحمد للَّه الذى بنعمته تتم الصالحات

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمیة للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فی الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فی المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتناب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.


مرکز القائمیه اصبهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلکم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹